ألبانيا
(١)

الحديث عن ألبانيا لا يخلو من العجب والإعجاب.. هذه الدولة الصغيرة التى يبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة، والتى تعتبر أصغر دول البلقان الست وهى اليونان - تركيا - بلغاريا - رومانيا - ألبانيا ويوغوسلافيا.. هذه الدولة لا ترتبط بأى صلة بالدول العظمى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، بل هى تهاجمهما يوميًا من إذاعة تيرانا عاصمتها، وقد ضمت إليهما أخيرًا صديقتها السابقة الصين.. هكذا يهاجم الأرنب الأسود، أو بمعنى آخر هكذا استأسد الأرنب، فالعجيب أن ترى الدولة الصغيرة العدد والمساحة تستطيع أن تقف وحدها فى شجاعة وحرية وتقول كلمتها بصدق، وهذا ما يثير إعجاب الجميع بألبانيا بل ويجعل المعلقين السياسيين فى حيرة من أمرها.

وهذه الحرية تكلف ألبانيا الكثير فهى تعتمد على نفسها فى العمل والإنتاج دون قروض أو مساعدات وتعد الشعب كله لكى يكون جيشا واحدًا إذا ما انطلقت شرارة الحرب، أو حاولت إحدى الدول احتلالها بالقوة والتدخل فى شئونها، ويقضى الدستور بالموت فى سبيل حرية الوطن، ويجيد الشعب الألبانى كله استخدام السلاح، فهو يتدرب عليه منذ الصغر البنات والأولاد.. وفى كل بيت توجد بندقية أو أكثر.. كما يوجد فى كل مكان خنادق مبنية من المسلح يمكن استخدامها وقت الغارات، وهى منتشرة فى الحقول والمصانع والشوارع والمدارس.

وتتمتع ألبانيا بطبيعة جميلة خلابة، وشواطئ صافية ناعمة على بحر ايونيه اليونانى والادرياتيكى الذى يربطها بإيطاليا وتستطيع أن تكسب ملايين الدولارات سنويا لو فتحت أبوابها للسياح ولكن نظامها المتشدد وأسرارها العسكرية ومحاولتها الحفاظ على ما تسميه الطهارة الثورية لشعبها يجعلها تغلق أبوابها أمام السياح إلا للمجموعات السياحية القليلة، ومن هنا فهى تستغنى أو تخسر ملايين الدولارات التى يمكن أن تكسبها عن طريق السياحة وبيع الهواء والماء وجمال الطبيعة.

* * *

منذ الوهلة الأولى لوصولى إلى مطار تيرانا شعرت بأنى فى

دولة ذات طابع خاص... المطار صغير لا يتسع إلا لطائرة واحدة أو طائرتين، وهو أشبه بمطاراتنا الداخلية مثل مطار أسوان أو الوادى الجديد أو البحر الأحمر، وما ان وقفت الطائرة حتى صعد إليها اثنان من رجال الشرطة وطلبا منا جوازات السفر.. هذه هى المرة الثانية التى أزور فيها ألبانيا، فى المرة الأولى انتظرنا رجال الشرطة على آخر سلم الطائرة لمشاهدة جوازات السفر وعدم السماح لمن لا يحمل (الفيزا) تأشيرة الدخول بدخول المطار، فى هذه المرة صعد رجال الشرطة إلى داخل الطائرة حتى لا يخرج منها أحد قبل التأكد من شخصيته زيادة فى الحرص.

إجراءات الدخول سهلة ما دمت تحمل التأشيرة، وسرعان ما تجد نفسك خارج المطار لأن ركاب الطائرة دائمًا عددهم قليل، قد لا يزيدون على عدد الأصابع، الطريق من المطار إلى داخل مدينة تيرانا ليس بعيدًا وهو مزدان على الجانبين بالخضرة الجميلة وأشجار الزيتون والبرتقال والليمون، الشارع خال تمامًا من الناس مع أننا فى عز الظهر، الناس هنا قليلون وكل منهم فى مكان عمله، العمل هو الظاهرة الواضحة الجلية فى هذا المجتمع، النساء يعملن فى كل المجالات حتى الصعبة منها، هذه فتاة تحمل فأسًا وتهوى به على الرصيف لتنظيمه، وهذه أخرى تحمل معولا وتذهب إلى الحقل، الجباه كلها عرقانة شقيانة من أجل حياة أفضل، السيارة تنهب الأرض نهبًا، فالطريق مستو وخال، خال

مدينة تيرانا عاصمة البانيا فى ساعة الذروة (تصورا)

حتى من السيارات، فالنظام لا يسمح لأى فرد أن يمتلك سيارة ملاكى لأنها رفاهية غير مطلوبة، كل ما يستطيع المواطن الألبانى امتلاكه دراجة يستطيع أن يذهب بها إلى عمله وقضاء حاجته.. ونصل إلى قلب تيرانا حيث ميدان اسكندر بك المليء بالشباب من الجنسين كل يركب دراجته، البعض عائد من عمله فترة الراحة، والبعض الآخر ذاهب لنوبة عمله.

فى هذه المرة وجدت الميدان أكثر حركة، هناك فندق جديد ضخم فى وسطه اتخذ من اسم العاصمة اسمًا له. كما يوجد متحف حديث البناء، وذهبت إلى فندق (الدايتى) وهو فى شارع اسكندر بك المتفرع من الميدان ويمتاز بهدوئه عن فندق تيرانا الجديد الذى يبلغ ارتفاعه ١٢ دورًا، فندق الدايتى ينزل به كل ضيوف ألبانيا ويعرفه كل من زارها، وهو على الطراز الكلاسيكى الضخم المرتفع، الدايتى هى الجبال المحيطة بالعاصمة تيرانا، وحول العاصمة أقامت الدولة حديقة غناء وزرعت أشجارًا باسقة وزهورًا يانعة متباينة الألوان مع بحيرة صناعية كبيرة يهرع إليها المواطنون وقت الحاجة.

تيرانا ليست أجمل مدن ألبانيا بل هناك مدن عديدة جميلة سواء فى الشمال أو الجنوب، ولم تكن تيرانا عاصمة ألبانيا منذ مدة طويلة، بل أصبحت العاصمة منذ عام ١٩٢٠، وقبل ذلك كانت (دورس) هى العاصمة فى الفترة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٠

ومدينة دورس تقع على بعد ٣٨ كيلو مترًا منها وكانت مدينة يونانية من قبل، وبها متحف كبير يضم الآثار اليونانية والرومانية التى عثر عليها فيها، كذلك كانت الطريق فى أثناء الحروب الصليبية للعبور من الغرب إلى الشرق وتمتاز مدينة دورس بشاطئها الرائع الهادئ على الأدرياتيك وهذا يشجع الألبان والأجانب فى العاصمة تيرانا على قضاء عطلة نهاية الأسبوع فيها، وعلى بعد خمسين كيلو مترًا من شاطئها يمكن الوصول بحرًا إلى إيطاليا.

تعتبر تيرانا العاصمة المركز الرئيسى للصناعة والحياة الفنية والثقافية، ففيها جامعة الدولة التى تأسست عام ١٩٥٧، ودار الأوبرا، وقصر الثقافة ومتحف حرب التحرير الوطنية، وقاعة الفنون، ومتحف العلوم الطبيعية.

والطريف أن العاصمة لا يوجد بها إشارات للمرور وإنما ينظم المرور فى الأماكن المزدحمة - وهى قليلة جدًّا مثل ميدان اسكندر بك - شرطى المرور، ولأن السيارات قليلة فهناك مثل يردده الألبانيون يقول... «السيارة تخاف الناس والناس لا تخاف من السيارة» والعاصمة تغلق فى الساعة التاسعة مساءً، أى أنك لا تجد أحدًا يسير فى الشارع فى هذه الساعة حتى الصباح، وليس هذا أمرًا من الدولة ولكنها أصبحت طبيعة الشعب حتى فى المدن الأخرى البعيدة والقريبة.

وقبل أن أترك العاصمة تيرانا أحب أن أقول لك إن من معالمها أيضًا المسجد الكبير فى ميدان اسكندر بك وهو مغلق دائمًا نهارًا مظلم ليلًا، وقد حاولت دخوله فلم أستطع، وهكذا كل المساجد والكنائس فى ألبانيا إما أنها موجودة ومغلقة كأماكن أثرية، وإما أنها قد تحولت إلى حدائق ونواد ثقافية وترفيهية، والواقع أن للدين فى ألبانيا حكاية طريفة تحتاج منا إلى فصل خاص.

(٢)

الشيوعيون فى كل بلاد العالم يؤمنون بقول كارل ماركس نبى الشيوعية: «الدين أفيون الشعوب» ويفلسفون دعواهم هذه بأن الدين يخدر الناس ويدفعهم إلى التسامح والتغاضى عن حقوقهم مقابل الأمل فى دخول الجنة، والماركسيون الأرثوذكسيون أى الحقيقيون لا يؤمنون بأى دين سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلام، وهم يرجعون بداية العالم إلى المادة، كما أنهم لا يؤمنون بعالم آخر سوى الذى نعيش فيه، ومن هنا فهم يحاولون نظريًا تحقيق الجنة التى يؤمن بها المتدينون فى العالم نفسه الذى نعيش فيه، وما زالت تجاربهم حتى الآن تحاول تحقيق ذلك دون جدوى، والدول الشيوعية كلها تهاجم الأديان وتحتقرها ولكنها فى نفس الوقت تفتح الكنائس والمساجد للمؤمنين الذين يريدون التعبد

والصلاة بشرط ألا تخرج تعاليم الدين عن نطاق الكنيسة أو المسجد، يحدث هذا فى موسكو والصين وأوربا الشرقية، فمن يؤمن يستطيع دخول الكنيسة أو المسجد لممارسة شعائر دينه بحرية، لكنه من ناحية أخرى لن يستطيع الانضمام إلى الحزب الشيوعى الحاكم، وبالتالى لن يصل إلى مركز مرموق يتمناه كل فرد فى مجتمعه، ومن هنا نجد انصراف الشباب عن الدين فى هذه الدول بحثًا عن المركز المرموق ولقمة العيش السهلة الطيبة.

وألبانيا كدولة ماركسية تختلف عن المعسكر الشيوعى فى أنها قامت بثورة ضد الدين، وعلى حد قول بعض الأصدقاء الألبان، أقاموا معركة مع الله !! وكانت البداية فى عام ١٩٦٧ حين أغلقت الحكومة الألبانية وهدمت عدد ٢١٦٩ دارًا للعبادة من كنائس ومساجد فى كل ألبانيا، كما حولت بعضها إلى منتديات وبيوت ثقافة وكافيتريات، وهم يفخرون بذلك، وقد دعانى مرافقى إلى تناول فنجان من القهوة فى مكان قال لى إنه سيعجبك وذهبنا إلى كافيتريا وسط حديقة رائعة الجمال بها زهور يانعة وعصافير مغردة وأشجار مورقة تتمايل مع نسيم الخريف بمنة ويسرة، إنه مكان شاعرى يدفع الإنسان إلى الاسترخاء فى أحضان الطبيعة، وبعد تناول القهوة ضحك مرافقى قائلاً.. هذه الكافيتريا أقيمت على أنقاض كنيسة معروفة فى ألبانيا، قام الشعب بهدمها، فكان كلامه مفاجأة لى شعرت معها أن أعصابى المسترخية انقبضت مرة

واحدة، ومضى محدثى يكمل وكأنه لم يقل شيئاً غير عادى:

وبعد إغلاق المساجد والكنائس فى كل ألبانيا أمر رجال الدين بحلق لحاهم والذهاب إلى المزارع والمصانع للعمل وحسب، وبدأت الثورة على الدين تتخذ أسلوب الإقناع والحوار الفكرى لنزع الإيمان من قلوب الناس وهى مهمة صعبة وبخاصة مع من جاوزوا سن الشباب فإن ألبانيا كانت بلاداً مؤمنة بالإسلام والمسيحية، فكانت نسبة المسلمين سبعين فى المائة من عدد السكان، والنسبة الغالبة بعد ذلك من المسيحيين الكاثوليك.

ومن الطريف هنا أن نذكر كيف كانت الثورة الدينية سنة ١٩٦٧ تحاول إقناع الفلاحين البسطاء بأنه ليس هناك إله (سبحانه وتعالى) فقد تعود الفلاح الألبانى المسلم أن يضع كلمة بسم الله الرحمن الرحيم وسط حقله فى بداية موسم الزراعة حتى يبارك الله له فى المحصول الجديد، كما تعود الفلاح الألبانى المسيحى أن يضع صليباً وسط الحقل لنفس السبب، فجاء المسئولون ليناقشوه فى سبب حبه ووضعه لكلمة الله أو الصليب وسط حقله، وكانت إجابة الفلاح: حتى يبارك الله فى إنتاج الزراعة هذا العام، وطلب منه المسئول أن يحاول الاستغناء هذا العام عن هذه الفكرة ويرى ماذا ستكون النتيجة؟

واهتم المسئولون خلال هذا العام بالذات بمد الفلاحين بأجود البذور وأفخر وأقوى أنواع الأسمدة، وكانت النتيجة بالطبع أن

زاد إنتاج هذا العام عن أى محصول سابق ضعفين أو ثلاثة، ثم جرت مناقشة أخرى بعد الحصاد مع الفلاحين البسطاء: ما رأيكم لقد زاد الإنتاج كثيرًا دون الاستعانة بالصليب أو كلمة الله؟ ألم نقل لكم إنكم تستطيعون وحدكم زيادة الإنتاج بجهدكم وعرقكم؟

وهكذا بدأ الفلاحون يثورون على الله بعضهم مقتنع بما قدمه لهم المسئولون، والبعض الآخر وجد أنه لن يستطيع الوقوف ضد التيار الجارف القوى، ومع الفلاحين كانت السلطات تركز على الجيل الجديد وتعلن فى المصانع والمدارس ومختلف دور الحكومة، تعاليم تقول إن الدين يمثل التخلف والرجعية والإنسان البدائى، مما جعل الشباب الآن يبتسم لك ساخرًا إذا تحدثت إليه فى موضوع الدين.

ومن عجب أنهم إذ لا يؤمنون بالأديان أو العالم الآخر نجدهم يزورون قبور موتاهم وهى عادة المؤمنين على اختلاف أديانهم، كذلك فهم لا يحرقون جثة الميت وإنما يضعونها فى صندوق خشبى يدفنونه وهى فيه.

وفى مدينة (شكودرا) شمال ألبانيا أقيم فى سنة ١٩٧٢ متحف خاص لمحاربة الدين يؤرخ للحملة المضادة للدين منذ بدايتها عام ١٩٦٧ فى إحدى مدارس مدينة دورس والتى انتشرت بعد ذلك

بسرعة فى كل أنحاء ألبانيا، وتتصدر المتحف خريطتان كبيرتان لمدينة شكودرا الأولى رسمت عام ١٩٣٨ والثانية عام ١٩٧٣ ويشدك إليهما وجود عدد هائل من المساجد والكنائس بلغت ١٤٤ فى الخريطة الأولى، أما فى الثانية فتظهر نتيجة الثورة الدينية جلية فى عدم وجود أى إشارة لمسجد أو كنيسة واحدة، فى نفس الوقت الذى ازداد فيه عدد المدارس والمستشفيات من ٣٤ إلى ٦٧٨ وحدة.

ويحفل المتحف بالعديد من الصور التى تسىء لسمعة الدين مثل صور كرادلة الفاتيكان وهم يباركون جنود أمريكا فى أثناء ذهابهم للقتال فى كوريا وفيتنام، وصور كميات الذخائر والأسلحة التى ضبطت فى الكاتدرائيات والكنائس، وكيف كانت المسدسات تختفى داخل الأناجيل؟ كما تنتشر فى المتحف أيضًا بعض أقوال الرئيس أنور[1] خوجا والخاصة بالتهكم والهجوم على الدين، ومن الطريف أنه إذا ظهرت على شاشة التليفزيون الألبانى أية صورة وخبر عن بابا روما فإن أجهزة التعطيل والتشويش تحيل الشاشة إلى اللون الأبيض مع قطع الإرسال الصوتى، وطبيعى أن هذا الخبر لا يذيعه تليفزيون ألبانيا وإنما الموجات تتسرب من التليفزيون الإيطالى، ففى ألبانيا تستطيع أن ترى أحيانًا التليفزيون الإيطالى واليوغوسلافى بحكم الجوار.

---

(١) توفى الرئيس أنور خوجا فى شهر أبريل عام ١٩٨٥.

وينص دستور جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية الصادر فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٦ على أن الدولة لا تعترف بأية ديانة وتؤيد المفهوم المادى والعلمى للحياة وتمنع الدعاية الدينية.

وهكذا أصبحت ألبانيا أول دولة تهاجم الدين وتثور على الله، بل وتتعارك معه، وهناك كانت لى مناقشات طويلة مع الشباب وعدد من الشيوخ حاولوا خلالها إقناعى بأننى ساذج متأخر أعيش بفكر عصور خلت تقول إنه هناك إلهٌ موجود... وحاولت من جانبى إقناعهم بوجود الخالق العظيم الذى أبدع الكون والإنسان، والذى لولاه لتحول الكون إلى فوضى والإنسان إلى حيوان... ولم يستطع أحدنا إقناع صاحبه بوجهة نظره.. وصمت أخيرًا وشكرت الله عز وجل على إيمانى الشديد به.

(٣)

الإنسان الألبانى طيب، محب صادق، شجاع كريم، قوى فنان مسالم، راضٍ بقليله متقشف متمسك بالتقاليد، محب للاحتشام، مؤمن بقيم أهل الجبال، صبور إلى أقصى درجة، يعمل بجد ليل نهار من أجل وطنه، وقد علمه نظامه أن بلاده هى الجنة وما سواها محاولات غير ناضجة، فالمعسكر الرأسمالى امبريالى استعمارى يستغل الإنسان، والمعسكر الاشتراكى تحول هو الآخر

إلى الاستعمار الجديد، ومعظم الدول النامية - للأسف - تابعة لأحد المعسكرين، ومن هنا صور نظام الحكم للشعب الألبانى أن الجنة موجودة فى ألبانيا وحسب، وأنه لا أمة مستقلة حرة اشتراكية قوية سوى الأمة الألبانية التى لا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة، والإنسان الألبانى مقتنع جدًّا بهذا الكلام لأنه لا يرى تجارب الشعوب الأخرى، فالسفر من ألبانيا إلى أى دولة فى العالم ممنوع باستثناء رجال الدولة وهم رجال حزب العمل الألبانى والدبلوماسيون الذين تقتضى طبيعة عملهم السفر إلى الخارج، وهم معدون الإعداد الكامل للحفاظ على طهارتهم الثورية خلال وجودهم فى الدول الأجنبية.

كذلك تعلم الإنسان الألبانى التقشف والاكتفاء بما يسد حاجته الضرورية، فليس هناك امتلاك للسيارات، ولماذا السيارات ما دام المواطن يستطيع امتلاك دراجة يؤدى بها حاجته؟ أو يركب الأتوبيس فالسيارة رفاهية زائدة عن الحاجة عندهم.

ومع حب الإنسان الألبانى للنظافة إلا أنه لا يهتم بما نسميه الموضة، فبعضهم ما زال يرتدى ملابس موضة القرن الماضى سواء بالنسبة للنساء أو الرجال والبعض الآخر يرتدى ملابس حديثة نوعًا ما.

ويستخدم الألبان فى بيوتهم حتى الآن الفحم أو البوتاجاز أو

المؤلف يتطلع إلى الجبال التى تحولت إلى أغصان الزيتون فى البانيا

الاشعال الكهربى، ويختلف ذلك من مكان لآخر، وهذا دليل البساطة، على الرغم من أنهم يصدرون الكهرباء إلى البلاد المجاورة.

والإنسان الألبانى جاد فى حياته بعيد عن الميوعة والدلال يقضى أوقات فراغه بين أسرته أو فى الغناء وعزف الموسيقى، فهو فنان بطبعه، ولا يخلو بيت من آلة موسيقية، وأفراد الأسرة كلهم يغنون على اختلاف أعمارهم وأجيالهم، وكلمات أغنياتهم تتناول كل حياتهم، تاريخهم الماضى وحاضرهم ومستقبلهم وعاداتهم وتقاليدهم

وقيمهم الخيرة، ومن خلال الغناء تستطيع التعرف على المجتمع الألبانى فعلا، وهم يهتمون بالفولكلور أيما اهتمام وعندهم معاهد متخصصة لدراسته، والفرد العادى يمكنه أن يغنى لك أغنية من القرن الماضى أو الذى يسبقه تمامًا كما كانت تغنى وقتها، وهذه واحدة من سمات هذا الشعب الأصيل المحب لماضيه المتطلع لمستقبله.

غير أن ما يثير إعجابك بهذا الشعب هو حبه للعمل وتكريس كل وقته له، وسعادته بحياته البسيطة غير المتكلفة، وقد استطاع بفضل هذا العمل المتواصل أن يحقق الاكتفاء الذاتى لنفسه فى المواد الضرورية الغذائية، كذلك استطاع أن يوصل التيار الكهربائى إلى كل بقعة فى بلاده، بل وصدر الفائض إلى يوغوسلافيا واليونان، ويزيد إعجابك بهذا الشعب عندما تعرف الظروف الطبيعية الصعبة التى يعمل فيها، فمعظم مساحة ألبانيا تتكون من جبال مرتفعة تصل نسبتها على وجه التحديد إلى ٧٦,٧٪ من المساحة الكلية، وهذا يحتاج إلى جهد زائد ومشقة فى زراعتها والسيطرة عليها، ومع ذلك فكل الجبال تقريبًا مزروعة بالمحاصيل المتباينة وبها أعداد غفيرة من أشجار الزيتون، وقد استطاع الفلاح الألبانى أن يطور طريقة الزراعة التقليدية لتصبح بالميكنة، وبجانب الجبال المرتفعة هناك عامل الطقس المتقلب وتكاثر الجليد فى الشتاء، مما جعل الفلاح يستخدم طريقة

الصوبات الزجاجية حتى يستطيع زراعة الأرض والحفاظ على درجة حرارتها الدافئة حتى فى فصل الشتاء، وغير هذا وذلك تجتاح البلاد أحيانًا براكين قوية تهز الجبال وتدمر البيوت وتحيل العمران إلى دمار وتقتل الناس وتشردهم، وأمام غضب الطبيعة يصمد الإنسان الألبانى مؤمناً بقوته وقدرته على تحمل الصعاب، ويعمل جاهدًا للسيطرة على الظواهر الطبيعية وإعادة الحياة إلى مجراها العادى.. وقد حدث آخر زلزال فى اليوم الخامس عشر من شهر إبريل عام ١٩٧٩ فى شمال ألبانيا فى منطقتى (شكودرا) و(ليشا) وتسبب فى سقوط ٣٥ قتيلا و٣٧٩ جريحًا وهدم وتخريب ١٠٢٥٥ بيتًا و٤٣٩ هدفًا اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا.

وهب المسئولون فى اللحظات الأولى مع القيادات الشعبية لمساعدة المنكوبين وتطوع الشعب والشباب خاصة لإعادة بناء البيوت والمؤسسات المهدمة واستطاع الجميع أن يعيدوا الحياة إلى الأماكن التى شهدت الزلزال، والابتسامة إلى سكان المنطقة خلال ستة أشهر وحسب.. تعاون رائع وتضامن وإيثار، إنها ميزة من ميزات الشعب الألبانى، الشجاعة والحب والمشاركة الوجدانية، ومن شعاراتهم المعروفة: «الفرد للمجموع والمجموع للفرد» شعار يدل على التعاون والاهتمام بالجميع.

وزائر ألبانيا يقف طويلاً متأملاً أمام نصف المجتمع الحلو وأعنى المرأة، فهى عملية إلى أقصى درجة، بل لا أكون مبالغًا إذا

قلت: إنها تعمل أكثر من الرجل أحيانًا، بل فى معظم الأحايين، وهى مع عملها الدائم الزائد تنسى أنوثتها ولا تهتم بما تهتم به حواء فى كل مكان من التغالى فى زينتها من ترفيع الحواجب وإزالة الشعر وما إلى ذلك، وإذا اهتمت بالمكياج فإنك ستضحك من سوء استخدامها له، لأنها تضعه كما هو فترى شفتيها مثلاً ملطخة باللون الأحمر كما لو كانت قد أجرت عملية جراحية فيهما، وستتذكر على الفور فلاحات مصر عندما يحضرن إلى القاهرة لأول مرة، والمرأة الألبانية لا تعرف الحلى أو الذهب فأذناها وأصابعها وصدرها لا مكان فيها للذهب تمامًا إلا فى حالات نادرة تكون فيه الفتاة قد ورثت عن أمها أو جدتها خاتمًا أو قرطًا من ذهب ويكون ذلك معروفًا للجميع، ولا توجد متاجر خاصة للمصوغات والمجوهرات الذهبية فى ألبانيا، وهذا يتمشى مع طبيعة المجتمع الألبانى المتقشفة البسيطة البعيدة عن التكلف المعتمدة على العمل الشاق والجهد والعرق حتى بالنسبة للمرأة.

وقد بدأت المرأة الألبانية تخرج إلى المجتمع وتترك عصر الحريم مع تحرير ألبانيا فى التاسع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٤، وقد أسهمت بقسط وافر فى هذا التحرير عن طريق الالتحاق بالجيش، وكان عدد المقاتلات حوالى ستة آلاف امرأة وفتاة ضمن جيش قوامه سبعون ألف مقاتل، وحاربت المرأة الألبانية بجانب زميلها ورجلها كما الرجال، وحملت السلاح فداء

أطفال البانيا يتعلمون الأغنيات الوطنية ومن المعروف أن الموسيقى والأغنيات الشعبية جزء هام من حياة الشعب هناك

وطنها، واستشهدت الكثيرات أمثال: مارجريت توتولانى وشاهينازيوكا وليرى جيرو وغيرهن.

ومنذ التحرير حتى الآن تسهم المرأة الألبانية فى بناء مجتمعها بنفس القدر الذى يقوم به الرجل، إن لم يزد، فهى تعمل فى الحقل والمصنع والتعليم ووصلت إلى منصب الوزارة، ومن الطريف أن وزيرة الصناعة كانت عاملة بسيطة فى أحد المصانع ولكنها بعملها وكفاحها وصلت إلى أن تكون وزيرة.

والقانون يمنح المرأة كل حقوق الرجل، ويعطيها الفرصة الكاملة للعمل والبناء، وقد شاهدت المرأة الألبانية فى بعض المواقع تعمل أعمالاً شاقة كتمهيد الطرق وعزق الأرض ومد خطوط السكك الحديدية وقلت لمرافقى مازحاً.. أعتقد أن الرجل فى ألبانيا هو الجنس الناعم وليس المرأة.. فضحك معى.. ونسبة العمالة للمرأة وصلت إلى سبعة وأربعين فى المائة من مجموع العاملين، ولكنها فى مجالات معينة كالصحة والتعليم والصناعات الغذائية تصل إلى ثمانين فى المائة.

والمرأة الألبانية كما ذكرنا لا تجارى تطور الأزياء أو ما نسميه بالموضة ولكنها تهتم بنظافة ملابسها وتراعى فيها الاحتشام، حتى بالنسبة للراقصات أو المطربات على المسرح فكلهن يرتدين الملابس المحتشمة التى تغطى أجزاء الجسم.

وقبل أن أنهى حديثى عن الإنسان الألبانى أود أن أقول لك إنه قضى على الأمية قضاءً تاما فالكل يقرأ ويكتب، والشارع الألبانى نظيف من المتسولين أو مدعى الفقر، فليس هناك مجال للتسول ما دام فى إمكان الفرد أن يعمل ويعيش من كسب يده وعرقه ومساهمته فى بناء مجتمعه، كذلك استطاع النظام أن يجعل الإنسان الألبانى لا يفكر فى شىء إلا العمل والبناء والبلد، ولأنهم يعملون كثيراً فإن صحتهم قوية وقد أثبت خبراء الأمم المتحدة أن ألبانيا خالية تمامًا من مرض السل وأن متوسط العمر يصل الآن إلى سبعين سنة فأكثر، والإنسان الألبانى سعيد بحياته البسيطة التى لا يرى غيرها، والسعادة كما تعرف شىء نسبى فقد يعيش الإنسان فى قصر كبير ويملك الملايين ولكنه لا يشعر بالسعادة، وفى نفس الوقت يمكن أن يعيش فى شقة أو حجرة صغيرة ولا يملك غير قوت يومه ويشعر بسعادة فائقة، إنها الحياة، والألبانى يعيش حياة بسيطة تصل إلى التقشف ولكنه سعيد بذلك، فهو حر يا أخى.